خطبة الجمعة

ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز الخليفة الخامس للمسيح الموعود و الإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/٠٢/٠٧

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

هناك برنامج بالأردية يُبثّ في قناتنا الفضائية مساء كل سبت بعنوان "راه هدى" (أي سبيل الهدى) يتحدث فيه علماؤنا ودعاتنا حول مواضيع مختلفة ويردون على أسئلة مباشرة ترِدُهم عبر الهاتف، إذ يطرح الإخوة غيرُ الأحمديين أيضا أسئلتهم. لقد شاهدتُ في الأسبوع الماضي جزءا من هذا البرنامج حيث كان أحد الإخوة غير الأحمديين يطرح سؤالا عبر الهاتف. وكان سؤاله يتعلق بجزء من إلهام للمسيح الموعود عليه السلام، حيث جاء سؤاله على شكل اعتراض. والذي قاله السائل تمهيدا لهذا الاعتراض كان يتلخص في أن القرآن الكريم الذي هو كلام الله مترابط، وكذلك الأحاديث، وكذلك حال أقوال السلف الصالح.. فكلها مترابطة ترابطا محكما. أما إذا قرأنا إلهام المسيح الموعود فلا نجد فيه ترابطا، أو لا نفهمه. على أية حال، كان سؤاله مبنيا على اعتراض كان يختلج في قلبه، لأن نبرته كانت توحي بالاعتراض على أية حال، وإن لم يكن ينوي الاعتراض. لقد جاء في الإلهام: "سأري القدرة بعد عشرة أيام، ألا إن نصر الله قريب، في شائلٍ مقياس، Then will you go to Amritsar."، أي ستأتي النقود بعد عشرة أيام.

لقد رد عليه أعضاء الفريق بإيجاز وبأسلوبهم، ولكنني أرى أنه لا بد من بيان الخلفيّة التي ذكرها المسيح الموعود للإلهام لأنه يكون هناك معترضون آخرون أو من قليلي العلم أو بعض من شباننا الذين ليس لديهم إلمام كاف بالموضوع فيتأثرون بأسلوب سؤال السائل أو يريدون بعض التفاصيل. فمثل هذه الأسئلة التي يوجهها الإخوة غير الأحمديين إلى برنامجنا "راه هدى" يرد عليها علماؤنا بالتفصيل أحيانا إذا كانت تقتضي التفصيل، وإلا يؤجّلون تفاصيلها إلى أسبوع مقبل، لذا لا أرى حاجة إلى أن أرد على تلك الأسئلة أو الاعتراضات في الخطب، غير أنني أشرح هذا السؤال قيد البحث، لأنني كنت قد قلت في الخطب الماضية أن هناك كمًّا هائلا

من آيات الله التي تؤيد المسيح الموعود عليه السلام وتزيدنا إيمانا وتفحم المعارض لدرجة لا يملك المعارضون عشر معشارها أيضا. الإلهام الذي حاول المعترض أن يجعله عرضة للاستهزاء قدمه المسيح الموعود عليه السلام في كتابه البراهين الأحمدية آيةً له، كذلك هو مذكور بالتفصيل في كتاب "التذكرة" (*مجموعة كشوف المسيح الموعود ورؤاه وإلهاماته*) يبدو من سؤال السائل أنه أثار السؤال أو الاعتراض بقراءته ذلك الإلهام من "التذكرة"، ولعله قرأ سياقه ولكنه لم يذكره عند اعتراضه قصدا بغية تشويه الموضوع. لقد ورد هذا الإلهام في البراهين الأحمدية أيضا بالأسلوب نفسه، ويبدو أن المعترض لم يقرأه من البراهين، والمعلوم أن هذا الكتاب بحاجة إلى دراسة متأنية جدا ولا أظن أن المعترض يملك تلك الموهبة.

على أية حال، أقدِّم النص الذي يعود تاريخه إلى عام ١٨٨٢م، يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"قبل مدة من الزمن احتجت للنقود بشدة، وكان الآريون الساكنون هنا أيضا مطّلعين جيدا على حاجتي هذه. وكانوا يعرفون جيدا أنه ليس هناك أيّ أمل في الظاهر في الحصول على النقود، وكانت لديهم معرفة شخصية بهذه القضية بالذات ويستطيعون أن يشهدوا بذلك. فلما كانوا مطلعين جيدا على تلك الظروف الصعبة وفقدان أسباب حل المشكلة، هاجت في قلبي رغبة عارمة أن أدعو الله سبحانه وتعالى لكي تُحلَّ مشكلتي باستجابة الدعاء، وحتى تكون للمعارضين آيةً على تأييد الله تعالى ويشهدوا على صدقها. فدعوت في اليوم نفسه وسألتُ الله تعالى أن يُطلعني على النصرة المالية آيةً منه سبحانه وتعالى، فتلقيتُ إلهاما مفاده: "سأري القدرةَ بعد عشرة أيام، ألا إن نصر الله قريب، في شائلٍ مقياس، .Then will you go to Amritsar ".."

أي ستأتي النقود بعد عشرة أيام. وكما أن الناقة عندما تريد أن تلد، ترفع ذنبها لتشير إلى أنها على وشك الوضع، كذلك إن نصر الله قريب. ثم قال تعالى بالإنجليزية ما معناه: "إنك ستسافر إلى أمْرِتْسَر". وذلك بعد أن تأتيك النقود بعد عشرة أيام. فحدث ذلك بالضبط على مرأى من الهندوس (أي الآريين المذكورين). أي لم يأت إلى عشرة أيام ولا مليم واحد، وبعد عشرة أيام -أي في اليوم الحادي عشر- أرسل السيد "محمد أفضل خان" المفوض في محافظة راولبندي مئة وعشر روبيات، وجاءت عشرون روبية من جهة أخرى. ثم بدأت سلسلة مجيء النقود من حيث لم يكن في الحسبان. وفي اليوم الذي جاءت فيه النقود من السيد "محمد أفضل خان" وغيره، أي بعد مرور عشرة أيام، اضطررت للسفر إلى "أمرتسر" لأنه قد جاء في اليوم نفسه استدعاء من المحكمة الابتدائية في أمرتسر للإدلاء بشهادة".

هذا هو الإلهام بكامله مع خلفيته. ثم وضح المسيح الموعود الموضوع في عبارة أخرى حيث قال:

"حدث قبل مدة أن جاء إلى هنا... المدعو نور أحمد -وهو حافظ للقرآن الكريم وحاجٌ أيضا، وربما لديه بعض الإلمام بالعربية، كما أنه واعظ بالقرآن ويسكن في أمرتسر- في أثناء تجواله على شاكلة الدراويش... فلما كان نازلا عندي أبدى عليّ من تلقاء نفسه على سبيل الادّعاء ما كان يكنُّه في قلبه من رأي خاطئ عن الإلهام. فحزنت لذلك كثيرا (*المراد من الرأي الخاطئ هو أنه كان له أستاذ وكان يكنّ شكوكا وشبهات حول إلهامات الأولياء، وكان هذا المدعو نور أحمد متأثرا به، لذا قال المسيح الموعود أن هذا الشخص كان يشك في موضوع الإلهامات*). فيقول المسيح الموعود مستأنفا الحديث: حاولت قصارى جهدي إقناعه بالأدلة العقلية ولكن بدون جدوى حتى وصل الأمر إلى التوجه إلى الله تعالى. فأخبرته قبل صدور النبوءة بأنني سأدعو في

حضرة الله ﷻ، وليس بمستبعد أن يستجيب الله دعائي ويُظهر ﷻ نبوءة تشهد تحقُّقَها بأم عينك! فدعوت الله تعالى ليلا لهذا الغرض وأُريتُ في الصباح في الكشف رسالةً أرسلها شخص بالبريد مكتوب فيها باللغة الإنجليزية: " I am "quarreller ومكتوب أيضا بالعربية ما نصه: "هذا شاهدٌ نزّاغٌ"، وأُلقِي عليّ الإلهام نفسه حكايةً عن كاتب الرسالة. ثم زالت تلك الحالة، ولأنه ليس لديّ أيّ إلمام بالإنجليزية فأطلعتُ "ميان نور أحمد" قبل غيره في الصباح الباكر على الكشف والإلهام، وأخبرته أيضا بالرسالة المرتَقَبة، ثم استفسرت شخصا مثقفا بالإنجليزية عن معنى تلك الجملة الإنجليزية وعلمتُ أن معناها: إني مخاصم. فتبين من هذه الجملة الوجيزة على وجه اليقين أن رسالة ستأتي عن خصام ما. أما الجملة الثانية: "هذا شاهد نزَّاغٌ" التي رأيتها مكتوبة حكايةً عن كاتب الرسالة فتبين معناها أن الكاتب قد كتب تلك الرسالة من أجل شهادة في قضية. وفي ذلك اليوم مُنع الحافظ نور أحمد من السفر إلى أمرتسر بسبب المطر. والحق أن منعه من السفر نتيجة أمر من السماء كان إخبارا عن استجابة الدعاء لكي يرى تحقق النبوءة بأم عينه كما رجوت من الله في الدعاء.

فباختصار، لقد سردتُ له مضمون النبوءة كلها، وفي المساء جاءت على مرأى منه رسالة بالبريد المسجل من مدينة أمْرِتْسَر من القسيس رجب علي مدير مطبعة "سفير هند". وتبين منها أن القسيس قد رفع في المحكمة الابتدائية قضية ضد ناسخ يعمل عنده وينسخ هذا الكتاب، وقد جُعلتُ شاهدا على حادث. وجاءت الرسالة مصحوبة باستدعاء رسمي. وبعد وصول الرسالة استنتجتُ من الجملة الإلهامية "هذا شاهد نزّاغ" -أي أن هذا الشاهد سيسبب دمارا- أن مدير مطبعة "سفير هند" كان متيقّنا يقينا كاملا بأن شهادة هذا العبد المتواضع التي ستكون صادقة وبحسب واقع الأمر تماما، ستسبب دمارا لخصمه لكونها صادقة وموثوقا بها، ولكونها جديرة بالاعتبار والتقدير".

أي ستكون الشهادة صادقة وهامة وقوية بمعنى أن بيان المسيح الموعود سيكون هاما من جميع النواحي. ونظرا إلى أهميته كان القس يرى أنه سيسبب دمارا للفريق الثاني.

يتابع عليه السلام: "...فمن هذا المنطلق كلّفني المدير المذكور بالإدلاء بالشهادة مستصدرًا الاستدعاء. وقد اتفق أن اليوم الذي تحققت فيه النبوءة واضطررتُ فيه للسفر إلى أمرتسر كان هو اليوم نفسه الذي تحققت فيه النبوءة الأولى أيضا. فقد تحققت النبوءة الأولى أيضا أمام عينَي ميان نور أحمد، أي جاءت النقود بعد مرور عشرة أيام، واضطررتُ للسفر إلى أمرتسر أيضا، فالحمد لله على ذلك".

أكتفي بهذا القدر فيما يتعلق بالآيات، وكما قلت من قبل أني تطرقت إليها بسبب سؤال طُرح في برنامج "راهِ هدى" وسأذكر آيات أخرى في المستقبل بإذن الله. والآن سأقدم بعض المقتبسات للمسيح الموعود التي تنم عن قلقه على جماعته، ولكن قبل أن أذكر بعضا من نصائح المسيح الموعود وأمنياته تجاه جماعته سأسرد لكم حادثا أورده حضرة مرزا بشير أحمد ضمن بيان سيرة المسيح الموعود عليه السلام. إنه لمن فضل الله تعالى على الجماعة أنه كلما توجه الخليفة إلى موضوع معين وكان الأمر يتعلق بالإصلاح يتوجه الجزء الأكبر من الجماعة إلى الإصلاح تلقائيا. وهذا ما أشعر به من خلال الرسائل أيضا التي تصلني. وفي بعض الأحيان يرسل إليَّ الإخوة الذين جعلهم الله أنصارًا للخلافة بعض النصوص. تكون بعض تلك النصوص أو المقتبسات قد قُرئت على مسامع أفراد الجماعة ولكنها تكون في طي النسيان. على أية حال سأقرأ عليكم الآن هذا المقتبس من كتاب "سيرة المهدي" الذي أظهر المسيح الموعود قلقه فيه. وهذا المقتبس أيضا أرسله لي أحد من الدعاة وقال بأنكم

في هذه الأيام تلقون خطبا حول الإصلاح في الأعمال فها أنا أرسل لكم مقتبسا من كلام المسيح الموعود حول الموضوع نفسه، فجزاه الله.

يقول حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ في كتاب سيرة المهدي: "حدثني المولوي سَرْوَرْ شاه المحترم أنه حدث ذات مرة بين السيد مير ناصر نواب والمولوي محمد علي المحترم أمر ما، فأظهر مير ناصر نواب سخطه وأخبر المسيح الموعودَ بأن هناك اختلافا حول هذا الموضوع. عندما علم المولوي محمد علي بذلك قال للمسيح الموعود عليه السلام: لقد جئنا إلى هنا من أجلك أنت لننال فرصة لخدمة الجماعة ماكثين في صحبتك. وإذا ظلت الشكاوى تصل إليك هكذا فمن الممكن أن يتكدّر صفو قلبك تجاهنا لأنك أيضا إنسان. وفي هذه الحالة سوف نتعرض للخسارة بدلا من الفائدة من مجيئنا إلى قاديان. قال المسيح الموعود: صحيح أن السيد مير المحترم قال لي شيئا ولكني كنت غارقا في أفكاري لدرجة أقول حلفا بالله بأني لا أدري ما الذي قاله. ثم قال: تخطر ببالي منذ بضعة أيام فكرة بقوة حتى أنستني الأمور الأخرى كلها. *(هذا الأمر جدير بأن يُسمع بكل إصغاء)* يدور بخلدي كل حين، قياما وقعودا وعندما أكون جالسا مع الناس ويتحدث إليّ أحد، ولكن هذه الفكرة تكون دائرة في ذهني ويحسب القائل بأني أسمع كلامه ولكني أكون غارقا في تلك الفكرة. وعندما أخلو إلى بيتي ترافقني الفكرة نفسها. فباختصار، إن هذه الفكرة مستولية على ذهني في هذه الأيام بشدة متناهية لدرجة لا مجال لأن تتطرق إليه فكرة أخرى. فما هي تلك الفكرة يا تُرى؟ هي: ما هو الهدف الحقيقي من مجيئي؟ إنما الهدف هو أن تتأسس جماعة مؤمنة تؤمن بالله إيمانا صادقا وتكون على صلة حقيقية معه تعالى وتتخذ الإسلام شعارا لها وتلتزم بأسوة رسول الله ﷺ وتسلك مسلك الإصلاح والتقوى وتضرب مثلا أعلى للأخلاق الفاضلة لكي يهتدي العالم بواسطة تلك الجماعة، وتتحقق مشيئة الله تعالى.

فإذا غلبْنا الأعداءَ وانتصرنا عليهم وهزمناهم تماما بالأدلة والبراهين دون أن يتحقق هذا الهدف فلا معنى لهذا الانتصار، لأنه إن لم يتحقق الهدف من بعثتي فقد ذهبت الجهود كلها أدراج الرياح. أرى أن أمارات الفتح والانتصار بالأدلة والبراهين تظهر بصورة بارزة ويشعر العدو أيضا بخيبة أمله ولكن ما زال هناك ضعف فيما يتعلق بالهدف الحقيقي من بعثتي، وهناك حاجة ماسة للانتباه إلى هذا الأمر. فهذه هي الفكرة التي تقلقني في هذه الأيام وهي غالبة على ذهني لدرجة لا تتركني في حين من الأحيان."

فهذا هو الألم الذي أقلق المسيح الموعود عليه السلام فنصح جماعته في مختلف المناسبات وذكر كيف يجب أن يكون تصرف الأحمدي. إضافة إلى تأليفات المسيح الموعود هناك ملفوظاته التي تقع في عشرة مجلدات وتحتوي على تقارير حول مجالس المسيح الموعود، باختصار أحيانا أو بالتفصيل أحيانا أخرى. خذوا أيّ مجلد من تلك المجلدات تجدون فيها موضوع التوقّعات عن الجماعة والنصائح لها وتحسين الأعمال مذكورا من مختلف الزوايا والأساليب في كل مجلس وكل مكان. أقدم إليكم بعض المقتبسات في هذا الموضوع.

يقول حضرته عليه السلام في أحد المواضع: لقد تكلمت كثيرا في ما سبق حول وئام أبناء الجماعة وتحابّهم أن اتحِدوا وتآلفوا، هذا ما علَّمه الله المسلمين، أن يتحدوا وإلا سوف تذهب ريحُهم، كما أُمر المصلون أيضا بالوقوف في الصلاة ملتصقين لكي تنشأ الوَحدة، وسوف ينتقل خيُر بعضهم إلى البعض كتيّار البرق، أما إذا كانت هناك فُرقةٌ ولم تكن وَحدة، فستُحرمون. لقد قال النبي ﷺ: تحابُّوا، ولْيدْعُ بعضكم للبعض في الغيب، فعندما يدعو

الإنسان لأحد في الغيب يقول المَلَكُ أنْ يكون للداعي أيضا ما يطلبُ لغيره، فما أروع ذلك! لأنه من المحتمل أن لا يُتقبَّل من الإنسان لكن المؤكد أن دعاء المَلَك مجاب. إنني أودّ أن أقول لكم نصحا، أن انبذوا الخلاف من بينكم، إنما جئتكم بأمرين، أولهما أن تتمكسوا بوَحدانية الله والثاني التحابّ والمواساة فيما بينكم، أظهِروا أسوة تكون كرامة للأغيار. فهذا هو الدليل الذي ظهر في الصحابة رضوان الله عليهم، ﴿كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾. واعلموا أن التأليف إعجاز. تذكَّروا أن كلَّ مَن لا يحبُّ لأخيه ما يحب لنفسه فليس من جماعتي، فهو عرضة للمصيبة والآفة، وعاقبته ليست محمودة.

وقال: تذكَّروا أن تلاشي البغض من علامات المهدي، أفلن تتحقق إذن؟ كلا ستتحقق حتما. لم لا تصبرون؟ فكما هي مسألة طبية أن بعض الأمراض لا تزول ما لم تُستأصل، فبِيَدي سوف تنشأ جماعةٌ صالحة إن شاء الله. ما هو سبب التباغض؟ إنما هو العناد والرعونة والعُجب والثوائر. سأطرد من الجماعة جميع الذين لا يسيطرون على ثوائرهم ولا يستطيعون العيش بالحب والتآخي. فليتذكر أصحاب هذه الخصال أنهم ضيوف لأيام معدودة ما لم يُظهروا قدوة حسنة. فلا أريد أن يقع عليَّ اعتراض بسبب أحد. فالذي لا يعمل بحسب رغبتي من جماعتي فهو غصن يابس، وإن لم يقطعه البستاني فماذا يفعل به؟ فالغصن اليابس عندما يكون مع الأغصان الخضِرة الأخرى فهو يمص الماء لكنه لا يجعله يخضرّ، بل يتسبب في جفاف الأغصان الأخرى أيضا. إذنْ فاحذروا، إذ لن يبقى معي مَن لا يعالج نفسه.

لقد قرأنا وسمعنا هذا المقتبس عدة مرات من قبل أيضا، ولكن إذا قرأناه مع عبارة أظهر فيه المسيح الموعود عليه السلام قلقه وألمه وقال بأنه لم يفكر في شيء آخر إلى عدة أيام إلا إصلاح أعمال الجماعة لبعثت قراءته على القلق بوجه خاص.

متى يُدعى المرء مؤمنا صادقا؟ أقول لكم صراحة إن المرء ما لم يؤثر الله تعالى على كل شيء، ولم يدرك بفحص قلبه أن الله له، فلا يمكن أن يسمى مؤمنا صادقا. يمكن أن يُدعى مؤمنا أو مسلما في الاصطلاح العام كما يُدعى المنبوذون من كنّاسي المراحيض مصلين ومؤمنين. المسلم الحقيقي هو ذلك الذي يكون مصداقا لـ "أسلم وجهه لله". الوجه يُطلق – بالإضافة إلى الوجه المعروف – على الذات والوجود أيضا. فمن سلّم جُلّ قواه لله تعالى هو الذي يستحق أن يُدعى مسلما حقيقيا. لقد تذكرتُ أن مسلما دعا يهوديا إلى الإسلام ولكن ذلك المسلم كان بنفسه متورطا في الفسق والفجور فقال اليهودي للمسلم الفاسق: حاسِب نفسك أولا، ولا تغترّ أنك تُدعى مسلما. إن الله يريد الإسلام بالمعنى الحقيقي وليس بالكلام واللفظ فقط.

ثم يقول: اعلموا أن الكلام وحده لا ينفع قط ما لم تكن هناك أعمال. لا أهمية للكلام وحده عند الله، فيقول الله تعالى: ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

ثم قال عن ذلك أنكم إذا أردتم أن تخدموا الإسلام فتحلَّوا شخصيا أولا بالتقوى والطهارة. فقال: قد ورد في سورة آل عمران ﴿صابِروا ورابِطوا﴾، فيجب أن تستعدوا كما يستعدّ المرابط لمجابهة العدو حتى لا يتجاوز

الحدود. وحذار أن يتجاوز العدوُ الحدود فيضر بالإسلام. لقد سبق أن بينت أنكم إذا أردتم أن تؤيدوا الإسلام وتخدموه فتحلَّوا أولا بأنفسكم بالتقوى والطهارة، لكي تدخلوا أنتم حصن الله الحصين، وتُحرزوا الجدارة بهذه الخدمة وشرفها. أنتم تلاحظون كم ضعفت قدرة المسلمين الخارجية، حيث ينظر إليهم الأقوام بالنفور والاحتقار، (*أما اليوم فحين ننظر إلى المسلمين نجد أنهم قد انحطوا أكثر وأوضاعهم متردية جدا*).

ثم قال: إذا ضعفت قوتكم القلبية على صعيد داخلي وخارت، فاعلموا أن النهاية قد جاءت. طهِّروا نفوسكم حتى تتسرب إليها القوة القدُسية، وتصبح قوية ومحافِظة كما هي الخيول المرابطة على الحدود. فضلُ الله لا يحالف إلا المتقين والصادقين دوما، فلا تتصرفوا ولا تُبدوا أخلاقا تلصِق بالإسلام وصمة العار. فالمسلمون الفساق الذين لا يعملون بالإسلام يسيئون إلى الإسلام. فمثلا نرى مسلما يشرب الخمر فيقيء هنا وهناك وتكون العمامة في رقبته، ويقع في المجاري والحُفَر الوسخة، ويضربه رجال الشرطة بالأحذية، ويضحك عليه الهندوس والنصارى! إنّ عمله هذا المناقض للشريعة لا يؤدي إلى السخرية منه فقط، بل يؤدي في الحقيقة إلى السخرية من الإسلام نفسه. إنني أحزن كثيرا بقراءة مثل هذه الأخبار وتقارير السجون، حين أطلع على أن عددا هائلا من المسلمين يواجهون العقوبة على تصرفاتهم الرذيلة. فالإنسان حين ينظر إليهم يصاب باضطراب وقلق؛ فهؤلاء الذين كانوا يملكون الصراط المستقيم لا يضرون بأنفسهم فقط نتيجة أعمالهم السيئة، بل يعرِّضون الإسلام أيضا للإساءة والاستهزاء.

إني أقصد من هذا البيان أن المسلمين –مع أنهم يُدعَون مسلمين– يتورطون في هذه المنهيات والأعمال الممنوعة، التي لا تسيء إلى سمعتهم الشخصية فقط بل تثير الشبهات في الإسلام نفسه. فاجعلوا أعمالكم وتصرفاتكم صالحة حتى لا يتسنى للكفار الطعنُ فيكم، وهو طعنٌ في الإسلام في الحقيقة.

إن الاعتراضات التي تثار في هذه الأيام هي أنه إذا كان هذا هو تعليم القرآن الكريم فلماذا تعارضه أعمال المسلمين؟ حيثما نتوجه نُسأل عن ذلك ويثار الاعتراض نفسه، إن الجماعة الإسلامية الأحمدية هي الوحيدة اليوم التي ستغسل هذه الاعتراضات بتغيير الأعمال، فيجب أن نبذل قصارى الجهود في سبيل ذلك.

ثم يقول حضرته عن الشكر: إذا أردتم أن تشكروا الله فلا بد من التحلي بالتقوى والطهارة. *فقال:* إن شكركم الحقيقي هو الاتقاء والتطهُّر فقط، فالشكر الحقيقي لا ينحصر في ردِّ المسلم بقوله: "نعم والحمد لله" على سؤال "هل أنت مسلم"؟ (فليس من الشكر في شيء أن تقولوا لمن سألكم هل أنتم مسلمون وتقولوا نعم نحن مسلمون فالحمد لله على ذلك.) إذا اتخذتم الشكر الحقيقي أي طرق الطهارة والتقوى، فأنا أبشركم بأنكم مرابطون فلن يتغلب عليكم أحد. أتذكر أن موظفا هندوسيا متعصبا يدعى "جغن ناث" أفاد أنه كان موظفا في أمرتسر أو في مكان آخر حيث كان يعمل، وهناك كان عامل هندوسي يصلي في الخفاء (أي كان قد أسلم ولم يكن أعلن إسلامه وكان يصلي متخفيا) وفي الظاهر كان هندوسيا، فقال ذلك الموظف– وكان أكثرهم تعصبا– أنه وعدد من الموظفين الهندوس الآخرين كانوا يعدّونه سيئا جدا، وصمّموا على أنهم سيعملون على

تسريحه حتما، (أي طرده عن العمل) ، فشكاه مرارا بأنه ارتكب خطأ (أي كان يرفع الشكوى إلى رئيسه) أنه قام بمخالفة كذا. لكن ذلك الرئيس لم يكن يعير الاهتمام للشكوى، (أي المسئولون الكبار لم يكونوا يهتمون بالشكوى) إلا أنهم كانوا قد عقدوا العزم على تسريحه في كل حال، وقد جمعوا كثيرا من الاعتراضات للنجاح في خطتهم، كما كان يقدم شخصيا تلك الاعتراضات أمام الرئيس بين حين وآخر، وكلما طلبه الرئيس بغيظ شديد كنت ألاحظ كأن الماء صُبَّ على النار حالما يمْثل أمامه. (أي كان يزول غضب الرئيس فورا) ومن ثم كان ينصحه بلطف وكأنه لم يرتكب أي ذنب.

فلو كان الإنسان متحليا بالتقوى وكانت له علاقة بالله فليس بوسع أي مصيبة أن تضره، ولن تنجح أي محاولة لإلحاق الضرر به.

ثم يقول حضرته عليه السلام: يجب أن تتذكروا جيدا أن لكل شيء منافع، ففي العالم المادي يمكن أن تلاحظوا أنه بدءا من النباتات لغاية الديدان والفئران ليس هناك شيء يخلو من منفعة وفائدة للإنسان. فكل هذه الأشياء سواء كانت أرضية أم سماوية هي ظلال صفات الله وآثارها. ثم لاحظوا إذا كانت الظلال تتسم بالنفع المحض فيمكن أن تقدروا كم تتصف بالنفع والفائدة الذات (التي تلك صفاته)، (أي أنتم تعرفون فوائد ومنافع هذه الصفات والظلال، وإذا أنشأتم علاقة بالله سبحانه وتعالى فتقدِّرون كم من منافع سوف تجنونها). هنا ينبغي أن تتذكروا أن هذه الأشياء إذا كانت تضركم أحيانا، فإنما بخطئكم وسوءِ الفهم. ومثل ذلك نواجه أحيانا الألم والمصائب لعدم إدراكنا لبعض صفات الله سبحانه وتعالى، وإلا فالله سبحانه وتعالى رحمة وكرم متجسد، فإن ما يؤدي بنا إلى التألم والحزن في العالم أننا لسوء الفهم وقلة العلم نتعرض للمصائب، (هذا السؤال أيضا يطرحه الكثيرون أنه لماذا تحل المصائب؟ فجوابه أنها تصيبنا بسبب أخطائنا فقط) بالعيون الصفاتية نرى الله سبحانه وتعالى رحيما وكريما ونافعا نفعًا يفوق تصوُّرنا، (فحين ننظر إلى الله من خلال الصفات فنجده كريما ورحيما ومصدر كل نفع، وتتجلى لنا الذات التي يمكن أن ننتفع بها) والذي يقترب منه ويدنو منه فهو حصرا يصيب هذه المنافع. وهذه المرتبة ينالها المتقون المقربون إلى الله، فكلما تقرب المتقي إلى الله نال نور الهدى، الذي يولِّد نورا من نوع خاص في معلوماته وعلمه، وكلما ابتعد عنه استولت على قلبه ودماغه ظلمةٌ مهلكة، حتى يصير موردَ الذلة والهلاك لكونه مصداق "صم بكم عمي فهم لا يرجعون". بينما الإنسان الفائز بالنور ينال راحة وعزة من الدرجة السامية. فقد قال الله سبحانه وتعالى نفسه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾. والملاحظ هنا أن هذه النفس نالت الطمأنينة بالله. أما بعض الناس فينال الطمأنينة بالحكومة في الظاهر، وبعضهم يجدون السكينة والطمأنينة في المال والعزة، وبعضهم يطْمئنون برؤية أولادهم وأحفادهم الأذكياء والجميلين، (أي عندما يجدون عندهم أولادهم وأعوانهم وعُمالهم يطمئنون بهم) والواقع أن هذه اللذة وأنواع اللذات المادية ليس من شأنها أن تهيئ للإنسان الطمأنينة الصادقة والسلوان الحقيقي، بل إنها تولِّد الحرص النجس وتزيد الطلب والظمأ. فظمأهم لا يزول كما هو المصاب بالاستسقاء، حتى يُهلكهم. (أي أن طالب الدنيا يركض وراء متاع الدنيا فقط ويَهلك

أخيرا) بينما يقول الله ﷻ هنا إن النفس تجد الطمأنينة في الله ﷻ، فهذه المرتبة تتيسر للعبد. ففي هذه المرتبة تكون سعادته في الله ﷻ رغم تمتعه بالمال والمتاع، والعزة والشوكة المادية وهيبته الدنيوية. فهذه الأموال والمجوهرات وهذه الدنيا وتجارتها، لا تجلب له راحة حقيقية. فما دام الإنسان لا يجد الراحة والطمأنينة في الله لا ينال النجاة، لأن النجاة كلمة ترادف للطمأنينة.

ثم يقول حضرته إن الإنسان لا يسعه النجاة: لقد رأيت بعض الناس وقرأت عن الكثيرين الذين كانوا يتمتعون في الدنيا بالمال والثروة واللذات الزائفة وكل نوع من النعم الدنيوية من الأولاد والأحفاد، (أي كان لديهم أولاد ومساعدون أيضا) حين قربتْ وفاتهم وشعروا بفراق الدنيا والانفصال عن هذه الأشياء والانتقال إلى العالم الآخر، فاشتعلت فيهم نار الحسرات والأماني وبدأوا يتأوَّهون. فهذا أيضا نوع من جهنّم، وهو لا يجلب لقلب الإنسان راحة وقرارا بل يدفعه إلى عالم الاضطراب والقلق. لذا ينبغي أن لا يخفى عن أصدقائي أن الإنسان كثيرا ما يستغرق في الحب الباطل للأهل والعيال والأموال، (أي يمكن أن يكون لدى الإنسان حبٌّ، لكن يجب أن لا يكون في غير محله وأن لا يستغرق فيه). وفي سكرة هذا الحب وحماسه تصدر منه تصرفات غير شرعية، تحجبه عن الله ﷻ وتخلق له نوعا من الجحيم، لكنه لا يشعر بذلك، وحين يُفصَل عن ذلك كلِّه فجأة لا يكون له علم بذلك سلفا، فيواجه اضطرابا كبيرا. من السهل جدا الفهم أن الإنسان حين يحب شيئا، ثم يُبعَد عنه ويُفصل عنه ينشأ في قلبه حزنٌ وألم على فراقه. فهذه المسألة ليست مجرد قول، بل تتسم بالمعقولية، حيث قال الله ﷻ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، فهذه النار نارُ حبِّ غير الله التي تحرق القلب الإنساني وتجعله رمادا، وتلقيه في العذاب الشديد والألم العظيم. فأقول مكررا، إن من الصدق والمؤكد أن الإنسان لا يمكن أن ينال النجاة دون النفس المطمئنة.

وقال عليه السلام ناصحا جماعته: إن الله لا يبالي إلا بالصالحين. فتحابّوا وتآخوا، واتركوا الهمجية والخلاف. وتَجنّبوا كل أنواع الهزل والسخرية، لأن السخرية تلقي القلب عن الصدق بعيدا. وليحترمْ بعضكم بعضا، وليؤثر راحة أخيه على راحته. اعقدوا مع الله صلحًا حقيقيا وارجعوا إلى طاعته. إن غضب الله نازل على الأرض ولن ينجو منه إلا الذين يرجعون إليه تائبين عن ذنوبهم كلها.

اعلموا أنكم لو أطعتم أحكام الله تعالى وسعيتم لحماية دينه، لأزال العوائق عن طريقكم وأصبحتم من الناجحين. ألم تروا أن الفلاح يقتلع من حقله الطفيليات من أجل النباتات الجيدة، ويزين زرعه بالأشجار الجميلة المثمرة ويحفظها ويحميها من كل ضرر، أما النباتات والأشجار التي لا تحمل ثمرا بل تبدأ في الجفاف والتآكل، فإنه لا يبالي بأن تأتي بعض الحيوانات وتأكلها أو يقطعها بعض الحطّابين ويلقوها في التنور. فتذكّروا أنتم هذا. لو كنتم صادقين عند الله فلن تضركم أية معارضة شيئا، ولكن إذا لم تصلحوا أنفسكم ولم تعاهدوا الله على الطاعة بصدق، فاعلموا أن الله تعالى لا يبالي بأحد. إن آلاف الشياه والمعز تذبح كل يوم، ولا أحد يرحمها، ولكن حين يُقتل شخص واحد فكم يُسأل الناس عن قتله. فلو جعلتم أنفسكم غير نافعين وغير

مكترثين كالوحوش، فهكذا سيفعل بكم. ينبغي أن تدخلوا في الذين هم أعزّة على الله تعالى لكي لا يجرؤ وباء ولا آفة على الهجوم عليكم، إذ لا يحدث شيء في الأرض إلا بأمر الله تعالى. تَخلَّوا عن كل خصومة وثائرة نفس وعداوة فيما بينكم، فقد حان الأوان لكي تعرضوا كل هذه الأمور التافهة وتشتغلوا بمهام عظيمة. أوصيكم بألا تلجأوا إلى أي نوع من القسوة والشدة، بل انصحوا برفق على الدوام، ولا تلجأوا لثوائر النفس.

ثم قال حضرته: تذكَّروا للمستقبل أن لا تهملوا حقوق الأخوة أبدا، وإلا فلن تتمكنوا من أداء حقوق العباد أيضا. ثم قال: إنما أُخبرتُ "أن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" أي لن يُحدث في القوم تغيرًا أبدا ما لم يُحدثوا تغيرًا في القلوب. عندما يسمع كل إنسان إلى هذه الأمور يقول فورا نحن نصلي ونستغفر، فلماذا تحل بنا المصائبُ والابتلاءات؟ فالحقيقة أن الذي يدرك ما قاله الله فهو السعيد. فالملاحظ أن الله ﷻ يقصد من قوله شيئا ويفهم المرء منه أمرا آخر، ثم يقيسه على عقله وعمله، فهذا ليس صحيحا. فكل شيء حين يستخدم أقل من كميته المطلوبة فلا يترتب عليه الفائدة المترقبة. فمثلا إذا كان يجب تناولُ عشرة غرامات من دواء معين وتناول المريض غراما واحدا منه فقط، فلن يفيد. ومثل ذلك إذا تناول أحد حبةً بدلا من الرغيف فهل تُشبعه، وهل ترويه قطرةٌ من الماء بدلا من الكوب الكامل؟ كلا. فهذا هو حال الأعمال، إذ لا تصعد ما لم تكن بالمستوى المطلوب. فهي سنة الله تعالى ولا يسعُنا تبديلُها.

قال عليه السلام: إن مواساة الأخ كدفع الصدقات والتبرعات، فهو من حقوق العباد وهو واجب. فكما فرض الله الصوم والصلاة له قد أوجب مراعاة حقوق العباد أيضا. فالذي يترك المواساة فهو يترك الدين، فقد ورد في القرآن الكريم ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ﴾.

وكذلك أقول إن الذي لم يواسِ أخاه، فكأنه لم يواسِ العالم كله. لا تحبُّوا الحياة حبا يؤدي إلى ضياع الإيمان، لا تُهملوا حقوق الأخوة.

فلو فهمنا هذا الأمر أيضا لاختفت كثير من خصوماتنا ونزاعاتنا وقضايانا.

قال عليه الصلاة والسلام: اعلموا أن كل شيء منوط بالإيمان، فعليكم بتقوية إيمانكم. إن عدم أداء الحقوق معصية. لو صارت هذه الجماعة -التي يريد الله لها أن تكون قدوة للناس- مثلَ الآخرين وافتقرت إلى الأُخوّة والمواساة فسيكون فساد كبير.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: إن جماعتنا التي يبغضها المناوئون ويريدون أن تهلك وتباد، عليها أن تدرك أنني أتفق مع هؤلاء المعارضين في أمر واحد رغم بغضهم لنا، وبيانه أن الله تعالى يريد أن تكون هذه الجماعة بريئة من الذنوب، وتكون في سيرتها أسوة حسنة للآخرين، وتعمل بتعاليم القرآن الحقة حقا، وتتفانى في طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يبقى بين أبنائها تباغض ولا تحاسد، بل يجب أن يحبوا الله تعالى حبا صادقا وكاملا. ولكن الذي ينضم إلى هذه الجماعة ثم لا يحقق هذا الهدف، ولا يُحدِث تغييرا حقيقيا في أعماله، فليعلمْ أنه يحقق أمنية المعارضين هذه، وسوف يدمَّر أمام أعينهم حتما. ليس لله قرابة مع أحد، وإنه لا يكترث لأحد. إن

أولئك القوم الذين كانوا يُدْعون "أولاد الأنبياء"، أعني "بنو إسرائيل"، قد جاء فيهم أنبياء ورسل كثيرون، حتى دُعوا ورثة أفضال الله العظيمة وأهلها، ولكن ماذا كانت النتيجة عندما فسدوا روحانيًا وانحرفوا عن الصراط المستقيم وتمردوا وفسقوا وفجروا؟ لقد صاروا مصداقًا لقول الله تعالى:"ضُربت عليهم الذلة والمسكنة"، وحلَّ عليهم غضب الله. فما أعظمَ العبرةَ في ذلك. إن في أحوال بني إسرائيل درسا نافعا على الدوام. كذلك إن هذه الجماعة التي قد صنعها الله بيده هم قوم قد أنزل الله عليهم فضلاً كبيرا، ولكن الذي يدخل في هذه الجماعة ثم لا يحبّ الله تعالى بصدق ولا يتّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتّباعا صادقا وكاملا، فإنه سيُقطع حتمًا، صغيرا كان أم كبيرا، وسوف يصبح عرضة لغضب الله. لذا فعليكم أن تُحدِثوا في أنفسكم تغييرا كاملا، ولا تَتسبّبوا في تشويه سمعتها.

فهذا هو المستوى الذي على كلٍّ منا أن يسعى لبلوغه. إن السير في سبل التقوى، وإصلاح الأعمال، ورفع مستوى الإيمان ليس بأمر سهل. ما دمنا قد آمنّا بإمام الزمان، فلا بد لنا أن نسعى بصدق لنكون عند حسن ظنه بنا، ونعمل كل حسنة مهما صغرت، ونكره كل سيئة كراهة كاملة. نحن بحاجة إلى أن نزداد محبة وودًا وأخوة وأن يساعد بعضنا بعضا، وعندها سنفي بحق بيعتنا. وفّقنا الله لذلك.

أذكّركم اليوم ثانية بالدعاء للبلاد الإسلامية ولا سيما لسورية ومصر اللتين قد عمَّ فيهما الفساد والظلم جدا. كما أسألكم الدعاء للمسلمين الأحمديين في باكستان، حيث يُصبّ عليهم ظلم كبير ويزداد عندهم الشعور بعدم الحماية. فادعوا الله تعالى أن يحفظ هؤلاء كلهم ويبطش بالذين يدّمرون أمن البلاد. آمين.